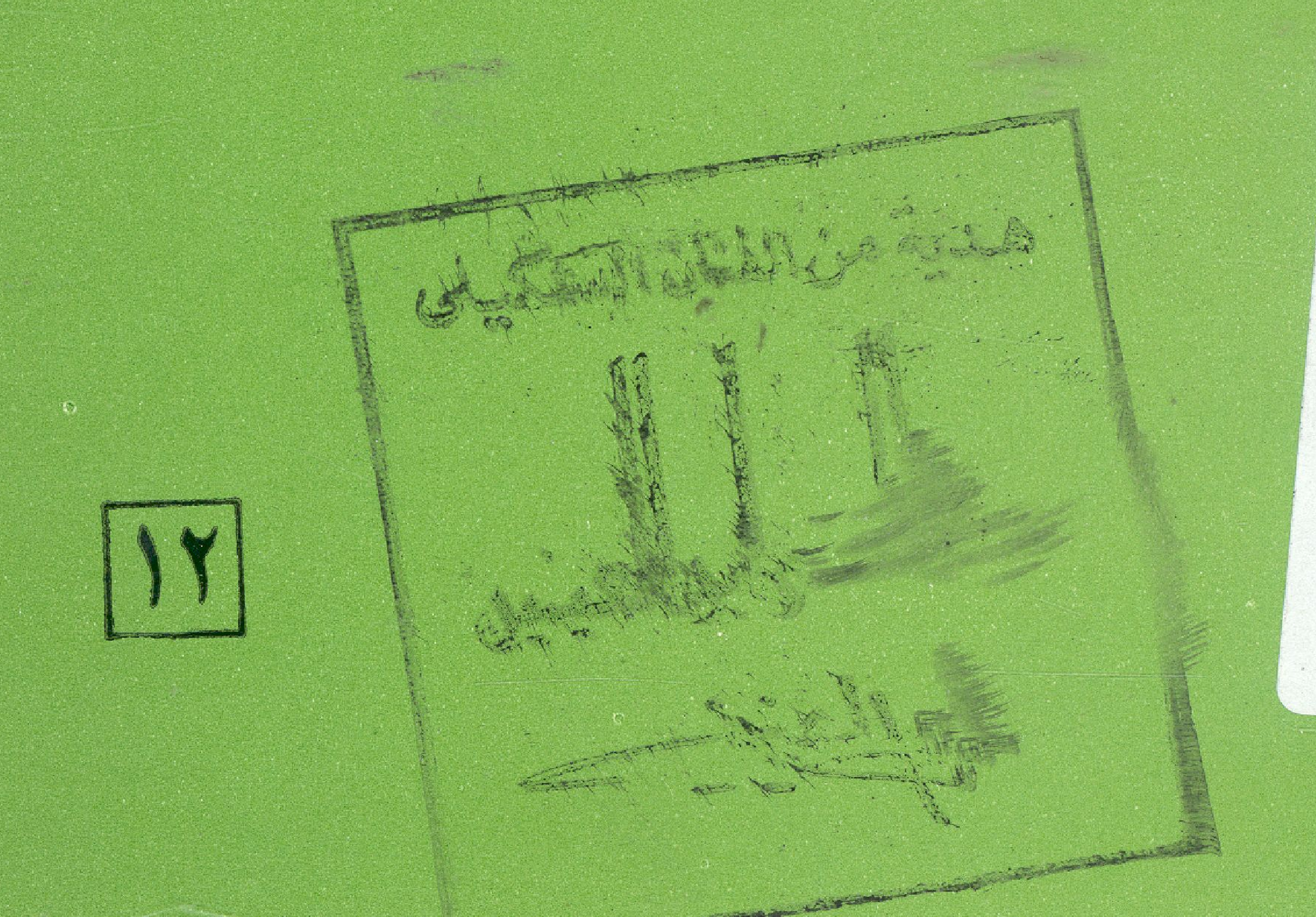
حول المقترحات الأمريكية

بصراحة ....

بقلم الأستاذ محمد حسنين هيكل

بجريدة الأهرام يوم ١٤ أغسطس ١٩٧٠



١٢

ما هو الاختلاف ؟
والخلاف ..؟

١٤ أغسطس ١٩٧٠

مع سريان وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية منذ بداية هذا الأسبوع ولمدة تسعين — يوما فإن مرحلة مختلفة — ولا أقول جديدة — تبدأ فى أزمة الشرق الأوسط .

وأنتقى الأوصاف بعناية .. أقول مختلفة ولا أقول جديدة ، لأن التغييرات التى جاء بها وقف إطلاق النار — نتيجة للمقترحات الأمريكية التى أصبحت الآن توجيهات لسكرتارية الأمم المتحدة صادرة عن الدول الأربع الكبرى ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن — هذه التغييرات لا تمس الأهداف الحقيقية لأطراف الصراع المباشرين فى الأزمة وإنما تمس أسلوب حركتهم لتحقيق أهدافهم :

* مازال هدف مصر هو استعمال كل قوتها السياسية لإرغام إسرائيل على الانسحاب من كل الأراضى التى احتلتها سنة ١٩٦٧ وعلى الرضوخ للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

* مازال هدف إسرائيل هو إستعمال كل قوتها السياسية لإرغام مصر على قبول الأمر الواقع فى سنة ١٩٦٧ وذلك بترك التوسع الإسرائيلى يرسم لنفسه الخريطة التى يريدها فى الشرق الأوسط ويترك العنصرية الصهيونية لتسحق عروبة شعب فلسطين .

ولعلى لا أحتاج إلى تعريف لمعنى القوة السياسية لأى بلد من البلدان . . إن القوة السياسية لأى بلد من البلدان ليست هى

عمله الديبلوماسى .. وإنما القوة السياسية لأى بلد من البلدان هى حاصل جمع كل ما لدى هذا البلد من عناصر القوة : جيشه ، واقتصاده ، وحضارته ، وصلاته العالمية ، ولعل كفاءة ديبلوماسيته هى آخر عناصر القوة ، لأن الديبلوماسية هى مجرد تعبير بحجج القانون الدولى عن عناصر القوة الأساسية) .

هناك مرحلة مختلفة إذن . .

والاختلاف هو فى أسلوب العمل وليس فى هدف العمل . .

وهذا الاختلاف مرجعه ومرده إلى تغييرات ظهرت وتأكدت على أرض الصراع ذاتها .

وهذه التغييرات تتمثل فى أربع نقط محددة ليست لها خامسة فيما يخطر على فكرى الآن ، وهذه النقط هى :

١ ـ الشعب المصرى وصموده المذهل لأكثر من ثلاث سنوات بعد يونيو ١٩٦٧ ، أى تحمله السياسى الشامل لكافة مسئوليات الصراع ، عسكرياً واقتصادياً ونفسياً .

٢ ـ الجيش المصرى وجهده الرائع فى إعادة بناء نفسه من أنقاض الهزيمة وقبوله للتحدى من معركة رأس العش إلى إغراق المدمرة إيلات إلى تحطيم خط بارليف الحصين ، إلى عمليات العبور الجسورة ، إلى وقوفه البطولى أمام التفوق الجوى الإسرائيلى .

٣ ــ شعوب الأمة العربية ووعيها اللامحدود عمقاً واتساعاً ، واتجاهها بغير تردد بمشاعرها وتأييدها نحو الذين يفعلون وعزوفها عن الذين لا يفعلون مهما كانت فصاحة ما يقولون !

٤ ــ دور الاتحاد السوفيتى الكبير والخطير ليس فقط فى إعادة تسليح الجيش المصرى ولكن أيضاً فى إرسال المئات من خبرائه للمشاركة فى إعداد الجيش المصرى للقتال على مستوى الحرب الحديثة ، وهو بهذا يسجل سابقة جديدة فى التاريخ ، لأن الاتحاد السوفيتى بهذه السابقة كان أول بلد أوربى يبعث بالعسكريين من أبنائه إلى أرض آسيوية إفريقية ، لا لكى يسيطروا ويستعمروا ــ وهو ما فعله كل بلد أوربى حتى الآن ــ ولكن لكى يساعدوا هذه الأرض الآسيوية الإفريقية على محاربة السيطرة والاستعمار .

ونحن نستطيع أن نرى أثر هذه التغييرات أو نشعر بهذا الأثر فى مواقف وتحركات كل الأطراف المتصلين بأزمة الشرق الأوسط ، سواء كان اتصالهم بها مباشراً أو كان هذا الاتصال غير مباشر .

١ ــ هناك اختلاف بغير شك فى الموقف والتحرك الأمريكى ، وأنبه مرة أخرى إلى أن هذا الاختلاف ــ شأنه شأن عناصر كثيرة اختلفت الآن فى الأزمة عما كانت عليه قبل شهور ــ هو اختلاف أسلوب ، أعنى أن أهداف الاستراتيجية الأمريكية مازالت كما كانت ولكنها

تحت ضغط التغييرات الأربعة التى أشرت إليها من قبل تضطر الآن إلى تاكتيك جديد .

وفى مرحلة سابقة كان هناك تماثل وتوافق وتطابق كامل بين المواقف والتحركات الأمريكية فى الأزمة وبين المواقف والتحركات الإسرائيلية فيها .

ومنذ عدة أسابيع وتحت ضغط ما حدث من تغييرات ظهر خلاف الأسلوب بين الاثنين أو ظهر خلاف التاكتيك .

وربما كان بروز دور الاتحاد السوفيتى هو أكثر ما أثر فى الموقف والتحرك الأمريكى ، وربما كان هذا الدور السوفيتى هو ما دعا الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون إلى أن يقول العبارة التى نسبها إليه بالتلميح عدد من كبار المعلقين الأمريكيين وجاء فيها :

« إننا على استعداد للدفاع عن وجود إسرائيل .. لكننا لسنا على استعداد للدفاع عن غزوات إسرائيل » .

أى أننا يمكن أن نصل إلى مواجهة مع الاتحاد السوفيتى إذا تعرض الوجود الإسرائيلى للخطر ولكننا لسنا على استعداد للمواجهة مع الاتحاد السوفيتى دفاعاً عن رغبة إسرائيل فى الاحتفاظ بالأراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ » .

٢ — إن هذا الاختلاف فى الموقف والتحرك الأمريكى — مع أنه يقتصر على الأسلوب دون الهدف — أحدث فى إسرائيل ما لم يكن فى استطاعتها تجاهله ، وما عبر عنه الجنرال موشى ديان بقوله: « قد نستطيع أن نكون أقوياء بحيث نتحدى العدو ، ولكننا لسنا أقوياء بحيث نستطيع أن نتحدى إرادة الصديق الوحيد الذى نعتمد عليه فى الاحتفاظ بموازين القوة العسكرية لصالحنا » .

وهكذا ظهرت الآثار التالية فى إسرائيل :

— اضطرت إسرائيل أن تتنازل عن بعض ما كانت تتمسك به باستمرار :

مطلب المفاوضات المباشرة — ثم ذكر كلمة الانسحاب وكانت قد حذفت من قاموس السياسة الإسرائيلية طوال ثلاث سنوات — ثم القبول بوقف إطلاق نار محدود بتسعين يوماً مع مصر، وكان إصرارها من قبل حازماً على العودة إلى وقف إطلاق نار غير المحدود وفقاً لقرار ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ — ثم القبول بوقف إطلاق نار مشروط بتوصل يارنج خلال تسعين يوماً إلى وضع تفاصيل تنفيذ قرار مجلس الأمن أى أن وقف إطلاق النار أصبح لأول مرة — وبرغم كل دعاوى إسرائيل — مشروطاً بوضع تفاصيل تنفيذ قرار مجلس الأمن خلال المدة المحدودة بتسعين يوما .

ـــ انفرط عقد التحالف الحاكم فى إسرائيل وخرج وزراء حزب جاحال الستة وكان هذا الحزب قد دخل انتخابات سنة ١٩٦٩ على أساس مبدأ ضم كل الأراضى المحتلة .

ـــ تعثرت الديبلوماسية الإسرائيلية لأول مرة وبدأ تخبطها من أول يوم متمثلا فى مشادات بينها وبين يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة .

ـــ تكشفت بجلاء ووضوح أمام الرأى العام العالمى خصوصاً فى الغرب مطامع إسرائيل التوسعية :

لكن إسرائيل ، وأنبه مرة أخرى ، مازالت تسعى إلى نفس مقاصدها القديمة ، وحركتها الآن كلها أن تجد وسيلة للتخلص من ضغط الحوادث عليها وفك طوق الظروف من حولها .

٣ ـــ استطاعت مصر أن تحصل لنفسها على موقف أكثر ملاءمة من النواحى العسكرية والدولية والديبلوماسية .

ويمكن باختصار هنا أن نعتبر أن كل ما اضطرت إليه أو خسرته إسرائيل فى الأسابيع الأخيرة ـــ كان بمثابة إضافات إلى موقف القوة السياسية الشاملة لمصر .

٤ ـــ طفت فجأة وبسرعة على السطح العربى اختلافات ، ولعل الكلمة الصحيحة هنا خلافات ، وربما كنت ، وكان غيرى كثيرون ،

نتمنى لو أن هذه الخلافات استطاعت أن تمسك بأعصابها وأن تنتظر ، ولكن لعلى أقول صراحة أنه قد يكون خيرا أن الخلافات على السطح العربى ظهرت الآن ونحن مازلنا فى بداية أعنف مراحل الصراع مع العدو الإسرائيلى ، وقد تثبت الحوادث فيما بعد أن ظهور هذه الخلافات على السطح العربى مبكرا أكثر أماناً بالنسبة للمعركة من ظهور هذه الخلافات متأخرا وفى لحظات عصيبة قد يكون الخلاف فيها طعنة خنجر فى الظهر والظلام !

وبالتالى فلعلنا نقول مع الحكمة المأثورة « إن الخيرة فيما اختاره الله » وما نراه اليوم «سلبيا» يؤلمنا ، قد يكون فى غد « إيجابياً» يريحنا لأن مصر على الأقل سوف تواجه مايتحتم عليها أن تواجهه عارفة مع من ؟ وإلى أى مدى ؟

وهذا الموضوع على أى حال يستحق تفصيلا أكثر . .

* * *

إن العالم العربى بدا على السطح متماسكا بعد يونيو سنة ١٩٦٧ وكان هذا التماسك فى الحقيقة وواقع الأمر يعكس عاملين :

١ — وقفة شعوب الأمة العربية كلها عند القواعد رفضاً للهزيمة وإصراراً على مواصلة النضال . . ويمكن أن نسمى هذه الوقفة بأنها على مستوى الجماهير كانت : تحالف إرادات .

٢ — تقارب قيادات الأمة العربية — فى هذه المرحلة من التطور —

على السطح، تقاربا فرضه هول ما حدث فى معارك الأيام الستة والخوف من تطورات المجهول بعده ، ويمكن أن نسمى هذا التقارب على السطح بأنه كان : تحالف ضرورات .

ونستطيع القول بأن تحالف الإرادات لدى الجماهير العربية مازال كما هو لم يختلف من أمره شيء .

ونستطيع القول فى نفس الوقت بأن تحالف الضرورات لدى القيادات العربية على السطح هو الذى ظهرت عليه عوارض الاختلاف أو الخلاف .

* * *

وفى وقت من الأوقات فى أعقاب النكسة مباشرة بدت الأمة العربية كلها وكأنها تسمرت فى مكانها من أثر الصدمة . وأقرب تشبيه إلى حركتها الرسمية فى ذلك الوقت هو أنها حفرت لنفسها خندقاً نزلت إليه حماية وأمانا من الصواعق والنازلات .

كان حالها فى ذلك الوقت مرهقاً ومضنياً ..

كانت تتسمع على ما يجرى خارج خندقها متوجسة ، وكانت تخشى أن ترفع رأسها خارج الخندق الذى حفرت فيه لنفسها حتى لا تفاجئها الأشباح التى تصورتها هائمة من حولها .

وفى ذلك الوقت كانت السلوى الوحيدة هى الشرود فى أحلام اليقظة بديلا عن التحقيق الفعلى لما هو مأمول .

كانت تلك عملية تعويض ضرورية للهرب من الواقع عن طريق الخيال .

وبهذا المزاج النفسى فإن بعض ما حدث فى ذلك الوقت بدا أكبر من حجمه الحقيقى لأن ذلك كان وسيلة من وسائل التعويض .
وكان هذا ضرورياً من ناحية نفسية، ومن منطق أنه إذا لم يكن الأمل حقيقة فى أيدينا فلا ضرر من أن نقيمه طيفاً فى تصوراتنا .

لكن ذلك ، وتحت ضغط تحالف الإرادات بين شعوب الأمة العربية ـ لم يكن يستطيع أن يستمر طويلا .

كان يجب أن يتوقف .

وكان يجب للعمل أن يكون وحده طريق الأمل .

* * *

وكان على القيادة المصرية ، بحكم دور مصر أولا وآخرا ، أن تنفض عن نفسها أثر الصدمة وأن تخرج من الخندق وأن تتحرك .

وخرج جمال عبدالناصر إلى حافة الخندق يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، وقال الكلمة التى لم يكن يريد أن يسمعها أحد :

ـ نعم .. لقد هزمنا .. !

ثم أضاف الكلمة التى كان تحالف الإرادات عند الجماهير العربية يريد أن يسمعها الكل :

ـــ ولكنها ليست النهاية .. لقد هزمنا فى معركة ولكننا لم نخسر الحرب .. ولابد أن نحشد كل طاقاتنا كى نعود إلى ميدان الصراع .

وبدأت مصر من يومها ترسم استراتيجية جديدة متعددة الجوانب تستخدم فيها كل وسائل القوة السياسية المتاحة أمامها : عسكرياً ودولياً ودبلوماسياً .

.. وقبلت مصر قرار مجلس الأمن ، وتركت إسرائيل ترفضه

...وراحت مصر تبنى قوتها العسكرية وتحاول ـــ بجهد خارق ـــ تقليل الفجوة بينها وبين إسرائيل ، وهى فجوة بدت واسعة بشكل مخيف فى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٦٧ ولكن هذه الفجوة بدأت تضيق ... ببطء ولكن باستمرار .

... وسعت مصر إلى العالم الخارجى بكل السبل وخصوصاً مع الاتحاد السوفيتى لكى تستبقى تأييده للجانب العربى بعد الهزيمة ، وتستزيد من هذا التأييد . وفى نفس الوقت تحاول حصر إسرائيل أو على الأقل تثبيت قوتها السياسية الشاملة عند حد معين .

وبدأت الصورة تختلف من حول الخندق الذى كان ملجأ وملاذا فى الأيام العصيبة التى تلت النكسة .

ويبدأ آخرون غير مصر يرفعون رؤوسهم خارج الخندق ويطلون على الصورة المتغيرة ..

وأحست مصر أن الوقت أصبح مناسباً للانتشار ... وللتقدم .

لقد انفسح مجال الرؤية أمامها بأوسع من جدران خندق ... وترامت أبعاد الحركة الممكنة إلى أبعد من مجرد حافة خندق .

وحسبت مصر موقفها وبدأت تتحرك .

وفجأة بدأت السهام تئز من خلفها .

كانت مصر تقدر سلفاً أنها سوف تكون معرضة عند الحركة للتصويب ضدها من الأعداء .

إن الخنادق تكفل شيئاً من الحماية .

ولكن التحرك على الأرض الواسعة فيه كثير من التعرض .

ويدا على مصر لأول وهلة أنها فى دهشة من السهام التى تئز خلفها من بعض الذين مازالوا يطلون برؤوسهم بين وقت وآخر فوق حافة الخندق .. الذين كانوا معها قبل قليل .

ربما كانت مصر ساذجة فى دهشتها ، لقد كان الأمر بسيطاً وكان طبيعياً وكان لابد من انتظاره .

إن أحلاف الإرادات لدى الشعوب مازالت على حالها لم تتأثر .

ولكن أحلا الضرورات على السطح العربى بدأت تتفكك

وضاع تماسكها الذى كانت مرغمة على قبوله أيام فرضت الظروف على الكل أن يقبعوا فى خندق .

* * *

إن ما حدث على السطح فى أحلاف الضرورات هو ما كان موجودا فى أعماق النفوس وكتمته ظروف السنوات الثلاث التى مضت .. أيام لم تكن هناك حماية إلا التكدس فى الخندق .

ما ظهر هو ما كان موجودا وكل ما هناك هو أنه وجد فرصة ... مجرد فرصة .

لم يكن هناك سبب حقيقى للخلاف بأبسط قواعد المنطق ..

لم يكن هناك جديد فيما قبلته مصر بمقتضى ما سمى بالمبادرة الأمريكية التى تحولت بعد ذلك إلى توجيه من الدول الأربع الكبرى إلى السكرتير العام للأمم المتحدة .

لا يحوى هذا الذى قبلته مصر غير شيئين اثنين :

ـــ وقف إطلاق نار محدود ومشروط .. تسعين يوماً يحاول يارنج فيها أن يضع تفاصيل تنفيذ قرار مجلس الأمن .

والغريب أن كل الذين يرفضون قبول مصر له ما زالوا مرتبطين بقرار لوقف إطلاق النار غير محدود وغير مشروط .

وكان وقف إطلاق النار المحدود والمشروط الذى قبلته مصر ـــ من موقف قوة فى يوليو ١٩٧٠ .

وكان وقف إطلاق النار غير المحدود وغير المشروط الذى مازال الآخرون ملتزمين به — من موقف ضعف فى يونيو ١٩٦٧ .

— تكليف سكرتارية الأمم المتحدة فى فترة وقف إطلاق النار المحدود والمشروط بوضع التفاصيل لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ .

وقبول مصر لهذا القرار معروف .

ورفض إسرائيل لهذا القرار معروف.

وسبب القبول والرفض فى الحالتين هو أن القرار ينص على الانسحاب وهو ما لا يمكن أن تقبل به إسرائيل إلا إذا أرغمت على القبول ، كما أن هذا القرار ينص على حقوق الشعب الفلسطينى وهو ما لا يمكن أن تقبل به إسرائيل إلا إذا أرغمت على القبول أيضاً .

وإذن فما الذى جد ؟

ولماذا السهام الطائرة تئز من وراء مصر ؟ !

ومع ذلك فإن مصر تحركت وفق تقديراتها ولم تفرض على غيرها أن يتحركوا معها فى نفس الاتجاه :

— كانت مصر تدرك أن المقاومة الفلسطينية — مثلا — لها أسباب تمنعها من قبول قرار مجلس الأمن ، وبالتالى من قبول كل ما يترتب

عليه ، وبعثت مصر إلى منظمات المقاومة وأوصلت إليها بكل سبيل رأيها :

« إن موقفنا لا يخلق وضعاً جديداً بالنسبة لكم .

تستطيعون مباشرة عملكم على أى نحو ترون .

كنتم تقومون بما تقومون به والكل ملتزم بقرار لوقف إطلاق النار غير محدود وغير مشروط .

وإذن فلا عليكم وامضوا فى طريقكم وهذا لا يحرجنا فى شىء بل هو يقوى موقفنا » .

ــ وكانت مصر تعرف أن العراق وسوريا والجزائر ــ مثلا ــ ترفض قرار مجلس الأمن وتنادى كلها بالحرب الفورية الشاملة .

وبعثت مصر إلى الثلاث وأوصلت إليها بكل سبيل رأيها :

« نحن نرى أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الاستعداد فيما يتعلق بنا لأن الحرب القادمة تختلف عن الحرب التى شهدناها سنة ١٩٦٧

ومع ذلك فإذا كنتم على استعداد لها فإننا لا نلزم أحدا منكم بوقف إطلاق النار .

إن النظام العراقى يقول إن جيشه جاهز

والصحف السورية تقول إن جيشها جاهز

والقيادة الجزائرية تقول إنها تستطيع فى أربع وعشرين ساعة أن تبعث بكل جيشها للقتال

إن قوات الدول الثلاث تستطيع أن تقوم بعمل كبير على الجبهة الشرقية وليس هناك ما يحول بينها وبينه خصوصاً وأن حجمها مجتمعة لا يمكن ـ وهذا ما يحق لنا أن نفترضه ـ أن يقل عن حجم الجيش المصرى .

وإذا هى دخلت المعركة فى أى وقت وتخلت عن وقف إطلاق النار غير المحدود وغير المشروط الذى تلتزم به من ٨ يونيو وحتى الآن ، فإن مصر بالتأكيد لن تقف ساكتة التزاماً بالمبدأ الذى أعلنته عن وحدة خطوط القتال العربية .

إن مصر لا تقول ذلك لكى تتحدى ، ولكن تقوله لكى تتعلم ، وهى على استعداد ـ وبكل تواضع ـ لأن تتعلم .

لو فعلتم ذلك فسوف نحصل منكم على ما هو أكثر من العلم سوف نحصل منكم على الفهم الذى هو مفتاح العلم

وإذا لم تفعلوا .. إذن فإننا لا نتعلم .

وإذا لم تفعلوا .. إذن فإننا نعجز عن فهم موقفكم

ذلك أن الذين لا يحاربون ليس من حقهم أن يعلموا غيرهم ـ ممن حاربوا فعلا ـ كيف الحرب وفنونها الحديثة ؟

وإذا كان على مصر أن تحارب فأبسط شيء أن يكون لمصر حق الاختيار ولا يمكن أن يفرض عليها مخطط وتوقيت يضعه فى بغداد الرئيس المهيب — لقبه العسكرى الرسمى — أحمد حسن البكر » .

ذلك قالته القاهرة بكل وضوح .. لكن السهام من حافة الخندق مازالت تئز .

ومع ذلك فهذا جانب بسيط من قصة المرحلة المختلفة التى بدأت الآن فى أزمة الشرق الأوسط

إن المرحلة المختلفة لعبة معقدة

والذين يلعبونها كثيرون

والمقاصد بينهم مختلفة

ولقد يكون مناسباً أن نبدأ من هنا محاولات استكشاف واسعة لمواقف وتحركات كل طرف من أطراف اللعبة الكبيرة والخطيرة التى تجرى الآن على قلب الدنيا . . هنا فى الشرق الأوسط .

وبالتالى فإن هذا الحديث يمكن اعتباره مجرد مدخل أو مقدمة ..

محمد حسنين هيكل